

## الفلسفة أهميتها ومآلها في العصر الرقمي

<sup>1</sup>د. حملاوي مهتور\*

<sup>1</sup>جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)

### Philosophy and the challenges of the digital age

<sup>1</sup> Dr. Hamlaoui Mehtour \*

<sup>1</sup><https://orcid.org/0000-0002-0834-5527>

<sup>1</sup>Full University 20 august 1955 –skikda (Algeria), [h.mehtour@univ-skikda.dz](mailto:h.mehtour@univ-skikda.dz)

تاريخ الاستلام: 2024/01/01 تاريخ القبول: 2024/05/27 تاريخ النشر: 2024/06/01

#### الملخص:

يكتسي الحديث عن الفلسفة، وأهميتها بالنسبة للإنسان أهمية بالغة في عصرنا هذا، الذي يشهد ثورة معلوماتية لم يسبق لها مثيل، وقد صار لجيل الأنترنت من خلالها إدراك مختلف لمعنى الحياة والوجود؛ يختلف عن إدراك الأجيال السابقة عليه، حيث تسرب إلى وعيه الشك في أهمية الفلسفة، وقيمتها معتقدا بأن وظيفتها تنحصر في نطاق البحث الميتافيزيقي؛ الذي لا طائل من ورائه، وضمن هذا السياق يأتي بحثنا هذا، والذي نسعى من خلاله إلى التأكيد على أهمية الفلسفة في العصر الرقمي، وبأنها قد استطاعت أن تواكب الأحداث والتحولت الإنسانية الكبرى على مر العصور، وهي قادرة على مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي الهائل، وما يطرحه من مشكلات وتحديات جديدة. وبرؤية تحليلية متأنية ننتهي إلى القول بأن الإنسان، ومهما أحرز من تقدم وتطور علمي وتكنولوجي؛ فإنه يظل كائنا ضعيفا وضيق الأفق أمام الاتساع الرهيب واللامحدود للحقيقة؛ ولذلك فإنه سيبقى وباستمرار بحاجة إلى الفلسفة؛ لأنها تستطيع أن تحاكي ما في السماء، وتمنحه فرصة العيش المطمئن في العصر الرقمي. كلمات مفتاحية: الفلسفة، العصر الرقمي، البحث الميتافيزيقي، الأنترنت، الأهمية.

#### Abstract:

Talking about philosophy and its importance is of great importance in our era, which is witnessing an unprecedented information revolution, which has resulted in the Internet generation believing that philosophy is of no importance because its function limited to the scope of useless metaphysical research, In this context Come our research, through which we seek to emphasize the importance of philosophy and its ability to keep pace with the tremendous scientific and technological development and the resulting new problems and challenges.

We conclude by saying that no matter how much scientific and technological progress and development man has achieved, he remains a weak and narrow-minded being in the face of the unlimited

\* المؤلف المرسل.

\* Corresponding author.

breadth of truth. Therefore, he will remain in constant need of philosophy; because she can simulate what is in the sky, and gives him the opportunity to live reassured in the digital age.

**Keywords:** Philosophy; digital age; metaphysical research; Internet; Importance.

## مقدمة:

منذ أن أنزل سقراط الفلسفة من السماء إلى الأرض؛ ليحوّل البحث من الطبيعة إلى الإنسان، والفلسفة على مرّ العصور يقدّمون تصوراتهم لشتى القضايا التي يطرحها عصرهم، وتشهدها بيئاتهم ومجتمعاتهم، ولم يُعرف عن الفلسفة أنها قد توقفت أو تراجع عن البحث؛ وهي لم تقف يوماً موقف المتفرج في الحياة، وإذا كانت الفلسفة قد عُرفت ومنذ ظهورها في بلاد اليونان، وإلى غاية العصر الحديث على أنها العلم الكلي الشامل؛ فإنها لم تعد كذلك بعد أن شرعت العلوم في الانفصال عنها الواحد تلو الآخر، وقد ظهرت مواقف التشكيك في أهمية الفلسفة منذ أن بدأ العلم يحقق انتصاراته الباهرة مقتحماً عالم الدقة واليقين، في الوقت الذي أعلنت الفلسفة فيه؛ بأنه لا يهمها أن تقدم إجابات حاسمة؛ بقدر ما يهمها أن تطرح تساؤلات وتمضي.

ويكتسي الحديث عن الفلسفة وأهميتها بالنسبة للإنسان أهمية بالغة في عصرنا هذا، الذي يشهد ثورة معلوماتية لم يسبق لها مثيل، وهي الثورة التي سهّل انتشارها التطور الهائل في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، والتي صار لجيل الأنترنت من خلالها إدراك مختلف لمعنى الحياة والوجود؛ يختلف عن إدراك سابقه؛ وأصبح وعيه مرتبطاً بالجاهز والفوري، ولم يعد يعتمد على التأمل والانتظار، وظهر نفوره من الفلسفة واضحاً، لاعتقاده بأن وظيفة الفلسفة تنحصر في نطاق البحث الميتافيزيقي، الذي لا طائل من ورائه، وقد زاد نفور جيل اليوم من الفلسفة بعد أن ظهر مارد المعرفة الرقمية المكتسحة للكلمات التي ابتكرها الفلاسفة، حيث أن الوتيرة المتسارعة للتطورات التكنولوجية، عملت على إزاحة الكلمة عن مقامها، وأسقطتها من عليائها، وضمن هذا السياق يأتي بحثنا هذا، والذي نسعى من خلاله إلى محاولة ضبط مفهوم الفلسفة، والتأكيد على أهميتها، وقدرتها على مواجهة التحديات التي يطرحها العصر الرقمي وهذا عبر إثارتنا للعديد من التساؤلات الهامة والمحورية، وعلى رأسها: ما مفهوم الفلسفة؟ وإلى أي مدى استطاعت هذه الأخيرة أن تواكب الأحداث والتحوّلات الإنسانية الكبرى على مرّ العصور؟ وأين تكمن أهمية الفلسفة في حياة الإنسان؟ وما مآلها في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الهائل وما يطرحه من مشكلات وتحديات جديدة؟

وسنحاول الإجابة عن الأسئلة المطروحة؛ معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي، وبعض جوانب المنهج المقارن، وهذا بالاحتكام إلى خطة تنسجم ومسعانا المنهجي، وهي الخطة التي عملنا بموجبها على تقسيم بحثنا إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة وهذا على النحو الآتي:

## المبحث الأول

### مفهوم الفلسفة

#### المطلب الأول: التعريف اللغوي:

يعود المعنى الاشتقاقي للفظ فلسفة إلى لفظتين يونانيتين هما: فيلو "philo"، وتعني محبة وسوفيا "Sophia"، وتعني الحكمة وبذلك يكون معنى الفلسفة هو محبة الحكمة، وتشير كلمة حكمة في العربية إلى النظر الصحيح وممارسة التفكير الدقيق القائم على البرهان، وعلى مزاولة العمل المتقن المحكم<sup>1</sup>.

ومما يدل على الأصل اليوناني لكلمة فلسفة ما روى المؤرخ اليوناني هيرودوت من أن كريسوس قد قال لصولون: "لقد بلغني أنك تقلبت في كثير من الأقطار متفلسفا، أي باحثا منقبا، واستعمل بركليس هذه الكلمة أيضا في حق الأثينيين، حيث قال: "نحن قوم نتفلسف ليس فينا أنوثة، أي أننا نحب البحث والنظر لأننا أرباب عقول وشجاعة"<sup>2</sup>. ولقد كان المستعمل في أول الأمر كلمة "سوفوس" وحدها للدلالة على كل بارع في صناعة من الصناعات، وقد أطلقها هوميروس في الإلياذة على "النجار البارع".

ويقال أن الفيلسوف والرياضي اليوناني الشهير فيثاغورس<sup>3</sup> "Pythagore" (570-497 ق.م) هو أول من استخدم هذا اللفظ، ورفض أن يتسمى باسم الحكيم "sophos"، وقال إن الحكمة لا يوصف بها إلا الآلهة، وأما هو فليس إلا فيلسوفا أو محبا للحكمة<sup>4</sup>. وعلى الإنسان أن يكتفي بمحبة الحكمة، و يذهب البعض إلى أن نسبة الكلمة إلى فيثاغورس أمر مشكوك فيه؛ لما عرف عنه من غرور وتكبر وادعاء وبعد عن التواضع، وهناك رأي آخر يشير إلى أن سقراط هو من أطلق على نفسه اسم "فيلسوف" أي محب الحكمة على سبيل التواضع، وليميز نفسه عن طائفة السفسطائيين الذين يتاجرون بالحكمة<sup>5</sup>.

**المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي:**

وقد شاع استخدام لفظ محب الحكمة في بلاد اليونان، وغيرها من البلدان على كل المبدعين في شتى الفروع المعرفية، وهذا طوال العصور القديمة وإلى غاية العصر الحديث؛ حيث بدأت العلوم تستقل عن الفلسفة، وأصبح الناس يفرقون بين الفلسفة والعلم وبين الفيلسوف والعالم، وقد أدى الأصل اليوناني لكلمة فلسفة بالعديد من المؤرخين إلى الاعتقاد بأن الفلسفة قد نشأت في بلاد اليونان، وأنها ظهرت في اليونان على غير مثال سابق<sup>6</sup>.

وقد أصبح مصطلح "فلسفة" أكثر إحكاما وضبطا من أيام فولتير<sup>7</sup> (1694-1778)؛ حيث أصبحت الفلسفة تعني وببساطة "التفكير في المعرفة"، ومن خلال ذلك تم التأكيد على أن الفلسفة ليست علما كما كان يعتقد البعض، وليست معرفة كما كان يعتقد البعض الآخر، وإنما هي نظر في المعرفة، ولذلك يمكن القول مع كانط<sup>8</sup> "Kant" (1724-1804) بأنه لا توجد فلسفة يمكن أن نتعلمها، وإنما حسبنا أن نتفلسف.

ويمكن الرجوع إلى فكرة جيدة عند فولتير، والتي يعني فيها بالفلسفة "التفكير العقلاني" للعالم المادي والتاريخي، أي أن الفلسفة هي أن نفكر عقليا عن الأشياء<sup>9</sup>. وبهذا يمكننا القول بأن الفلسفة ليست علما وليست معرفة، وإنما هي نظر في المعرفة وموقف متجدد من الحياة المليئة بالمشكلات والتناقضات. فالفلسفة أقرب ما تكون إلى حب الإطلاع، وممارسة التفكير أكثر مما تدل على امتلاك المعرفة، فالفيلسوف لا يدعي أنه يمتلك المعرفة، ولا يدعي أنه يعرف، ولعل أصدق مثال على ذلك هو سقراط الذي عرف عنه بأنه كان يردّد دائما بأنه لا يعرف إلا شيئا واحدا وهو أنه لا يعرف شيئا.

ويمكننا القول عموما بأن التفكير الفلسفي هو ظاهرة بشرية عامة، فالإنسان وبحكم كونه كائنا عاقلا محكوم عليه بأن يتفلسف لأن من طبيعة العقل البشري أن يحاول التعرف على حقيقة مركزه في الكون، والفلسفة غير منفصلة عن الحياة، بل هي متصلة بها متفاعلة معها لا تنقطع عن التأثير فيها والتأثر بها، وأن الاهتمام بها هو من قبيل الاهتمام بالحياة وبالوجود والمصير الإنساني؛ فلإن كانت الفلسفة نظرة إجمالية إلى الكون وموقفا فكريا معيننا من الحياة وتجاربها، فإن هذه النظرة الإجمالية، وهذا الموقف الفكري يؤثران في تصرفاتنا وأعمالنا وفي معالجتنا للحوادث وتوجيهنا لها، و"الفلسفة بهذا المعنى تبحث في كل المعارف المتشابهة بروح حرة، بغية رسم طريقة من طرق الحياة تتفق مع العقل ومع تقدم الإنسان؛ فهي ليست مقيدة برأي معين، وليست وفقا على الفلاسفة المحترفين"<sup>10</sup>.

## المبحث الثاني

### مفاهيم عامة: العصر الرقمي، الأنترنت، البحث الميتافيزيقي

#### المطلب الأول: العصر الرقمي والأنترنت:

يشير العصر الرقمي إلى الفترة التي أعقبت العصر الصناعي، وهي الفترة التي تم فيها ربط الأشياء بالأنترنت، وتم فيها أيضا توفير بيئات افتراضية عبر شبكات الأنترنت عالية التدفق؛ تتيح للمستخدمين الفرصة للوصول إلى البيانات، والمعلومات الهائلة بسهولة تامة وقد أصبحت المعلومات في العصر الرقمي؛ هي المحور الذي يتحكم في مجريات الحياة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والثقافية بشكل عام، فلم تعد القوة بيد الشخص الذي يمتلك الأموال ويبني المصانع، وإنما أصبحت بيد الشخص الذي يمتلك المعرفة التقنية والبرمجية.

كما يشير العصر الرقمي أيضا إلى أن كل أشكال المعلومات يمكن أن تصبح رقمية؛ النصوص، والرسومات، والصور الساكنة والمتحركة، والصوت. وتلك المعلومات يتم انتقالها عبر شبكة المعلومات الدولية بواسطة أجهزة إلكترونية وسيطة (الحاسب الآلي\_ الهاتف)، وقد فتح العصر الرقمي إمكانية تحقيق شبكات المعلومات الحالية للاتصالات، والتي يمكن بواسطتها تخزين وتوزيع كم هائل من المعلومات الرقمية التي تتزايد باستمرار<sup>11</sup>.

وأما بشأن الأنترنت فلا يوجد تعريف واحد له؛ فالبعض يرى أنه مجموعة من أجهزة الكمبيوتر؛ التي تتحاور مع بعضها البعض من خلال اتصالها معا عبر كوابل الألياف الضوئية والخطوط التليفونية، والأقمار الصناعية، بينما يرى البعض الآخر أنه العالم المعلوماتي والوسيلة الإلكترونية التي تمكن من التحدث والتحاور مع الأصدقاء، والسفر لأي مكان في العالم، ويرى آخرون أن الأنترنت هي شبكة الاتصالات الأم التي تربط جميع أجهزة الكمبيوتر أو شبكاته في العالم كله؛ بما في هذه الشبكات من معلومات وأجهزة وأفراد يعملون عليها، ويعرف الأنترنت تقنيا بأنها شبكة واسعة تكونت بفعل الترابط التعاوني بين العديد من شبكات الكمبيوتر وقد تم اشتقاق مصطلح الأنترنت من التعبير "Interconnection Network" الذي يعني ترابط الشبكات، ومن هنا أصبح مصطلح الأنترنت يعبر عن ارتباط مئات أو آلاف الشبكات بأية وسيلة من وسائل الربط أو الاتصال الشبكي.

وينبغي التأكيد هنا على أن الأنترنت ليس مجرد شبكة كومبيوترات؛ أو مجموعة شبكات متصلة ببعضها البعض، لأن الشبكة هي وسط لنقل المعلومات، وهي في ذلك لا تختلف عن الأنترنت، ولكن الاختلاف يأتي من المعلومات التي يتم نقلها، فهي في الشبكة المادية تعتمد على البرامج والأجهزة الموجودة فيها؛ أما في الأنترنت فهي غير محدودة، وليس هذا هو كل ما في الأمر؛ فهناك جانب اجتماعي يرتبط بالأفراد وحياتهم واهتماماتهم؛ فالأنترنت تسمح لملايين البشر عبر العالم بالاتصال ببعضهم والمشاركة في الشبكة؛ فيمكن للفرد الاتصال عن طريق ارسال واستقبال البريد الإلكتروني؛ أو عن طريق الارتباط بجهاز كمبيوتر آخر، وكتابة رسائل عليه أو استقبال رسائل منه (أي التحدث إليه Chatting)، والمشاركة في مجموعات مناقشة، وكذلك باستخدام العديد من البرامج ومصادر المعلومات المتاحة مجانا من خلال الشبكة. فالفرد من خلال الأنترنت يدخل إلى عالم يحتوي على مجموعة كبيرة من البشر من مختلف الدول والثقافات، ويتعاون معهم بإرادته<sup>12</sup>.

#### المطلب الثاني: مفهوم البحث الميتافيزيقي:

إن الحديث عن البحث الميتافيزيقي يعني الحديث عن الميتافيزيقا، وهذه الأخيرة تطلق على كتاب أرسطو الرئيسي الذي سماه أندرونيقوس الرودسي (Andronicus of Rhodes) (حوالي 60 ق.م)، وهو الرئيس الحادي عشر للمدرسة المشائية في روما، أثناء ترتيبه لكتب أستاذه أرسطو، حيث وجد أن هناك مجموعة من البحوث لم يطلق عليها المعلم الأول اسما معيناً يستقر عليه، وقد جاءت في الترتيب بعد البحوث التي كتبها أرسطو في الطبيعة (الفيزيقا) فأطلق عليها أندرونيقوس اسما مؤقتا، وهو "Meta" أي "ما بعد" وفيزيقا "Physics" أي أنها البحوث التي تلي كتب الطبيعة في ترتيب المؤلفات الأرسطية. ومع

تطور المصطلح أصبحت الميتافيزيقا تعني العلم الذي يبحث في موضوعات تتجاوز الظواهر المحسوسة، وهو العلم الذي يهتم بدراسة الوجود بشكل عام وملحقاته، وهي تلك المقولات التي تعبر عن الخصائص الأساسية لهذا الوجود كالجوهر، والعرض، والتغير، والزمان، والمكان... إلخ، إضافة إلى الوجود الإلهي، وصفاته، والنفس والروح... إلخ، وقد كان أرسطو يطلق على مجموعة البحوث الميتافيزيقية اسم "الفلسفة الأولى"، ويرى أنها علم المبادئ الأولى والعلل البعيدة التي تشمل جميع المبادئ الأخرى، فهي أشمل العلوم وأكثرها يقينا وتجريدا، فضلا عن أنها أشرف العلوم؛ لأن موضوعها النهائي هو العلة الأولى أو المبدأ الأول، وهو أشرف الموضوعات وهو الله، وقد انتقل تعريف الفلسفة الأولى من أرسطو إلى تلاميذه وشراحه وأبرزهم الإسكندر الأفروديسي الذي اعتبر الميتافيزيقا بمثابة علم الوجود الشامل<sup>13</sup>.

وقد استمر النظر إلى الميتافيزيقا على أنها علم لا تباطها بالفلسفة؛ التي هي العلم الكلي الشامل أو أم العلوم كما كانت تسمى إلى غاية العصر الحديث، ولكن النظرة إلى الفلسفة والبحث في الميتافيزيقا تغيرت تماما بعد ظهور المنهج التجريبي مع فرنسيس بيكون ولم تعد النظرة التأملية أو المنهج التأملي الذي تعتمد عليه الفلسفة من منظور الفلاسفة التجريبيين، ومن نحي نحوهم كالفلاسفة البراغماتيين منهجا مناسباً؛ بعدما حسمت الأمور بشأن مفهوم العلم؛ الذي يعتبر المنهج التجريبي أساسه، حيث لا تبلغ درجة العلمية إلا الدراسات التي ترتبط بالمواضيع القابلة للملاحظة والتجربة. وعلى هذا الأساس لم تعد الفلسفة علما، وقد ظهر هذا بشكل واضح وجلي حينما بدأت العلوم تنفصل تباعا عن الفلسفة، هذه الأخيرة التي تلقت في شقها الميتافيزيقي انتقادات لاذعة، بل وكانت عرضة للسخرية والازدراء، ويظهر هذا بوضوح في تشبيهه في الفيلسوف البراغماتي جون ديوي للميتافيزيقا بامرأة عمياء تبحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة.

ومهما قيل عن الفلسفة الميتافيزيقية؛ فإنها تظل تفرض نفسها على الإنسان في محاولته لتحديد مركزه في الكون، من خلال طرحه للأسئلة المتعلقة بحقائق الوجود، والموت، والمصير، وهي الأسئلة التي لا يستطيع العلم أن يجيب عنها، ولا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها، وهذا يعني أن الإنسان يجد نفسه مدفوعا إلى التفلسف في أي زمان ومكان.

### المبحث الثالث

#### الفلسفة ومواكبة الأحداث والتحديات الكبرى

##### المطلب الأول: الفلسفة ومرافقتها للإنسان في تجاربه المتنوعة:

لو أننا ألقينا بنظرة متأنية إلى تاريخ الفلسفة؛ لأدركنا بأن الفلسفة هي نتاج وعي يتقدم ويتطور بما ينجزه، فمنذ ما قبل الميلاد في الحضارة اليونانية إلى مرحلة العصور الوسطى المسيحية والإسلامية، وإلى غاية العصر الحديث، أثبتت الفلسفة حضورها وفعاليتها وهذا على الرغم من تكرار الموضوعات وطرح نفس المشكلات أحيانا؛ مما جعل فلسفات الماضي في كثير من الأحيان لا تدرس إلا لقيمتها التاريخية.

وعلى مر العصور أثبتت الفلسفة بأنها ضمير عصرها، ووعي حضارتها، والفيلسوف يفلسف لعصره، وفي عصره، ولا يمكنه تجاهل أحداث عصره، وطبيعته، ومستواه الحضاري، وهذا ما عبّر عنه كارل ماركس بقوله: "لا يخرج الفلاسفة من الأرض كما تخرج النباتات الفطرية، وإنما هم ثمار عصرهم وشعبهم، وهم العصاراة الأرفع شأنا، والأثمن، والأبعد عن أن ترى، والمعبرة عن نفسها بالأفكار الفلسفية، وأن الروح الذي يبني الأنظمة الفلسفية بعقول الفلاسفة، هو نفسه الروح الذي يبني السكك الحديدية بأيدي العمال. فليست الفلسفة خارجة عن العالم، كما أن الدماغ وإن لم يكن في المعدة ليس خارجا عن الإنسان"<sup>14</sup>.

وليس من باب المبالغة القول بأن الفلسفة عامل تقدم، فهي التي أخرجت أوروبا من ظلمات العصور الوسطى وهيمنة الكنيسة، على أن لهذا التقدم سمته الخاصة المختلفة عن تطور وتقدم العلوم. وقد ارتبط ظهور الفلسفة بالسؤال، فمن التساؤل عن أصل الكون ونشأته ذلك الذي طرحه فلاسفة اليونان الطبيعيين، وعلى رأسهم طاليس إلى السؤال المتعلق بالإنسان الذي طرحه سقراط، ومنذ اللحظة التي أنزل فيها هذا الأخير الفلسفة من السماء إلى الأرض؛ مثلما أشار إلى ذلك الخطيب الروماني شيشرون والفلاسفة يقدمون رؤاهم وتصوراهم حول مختلف القضايا والمشكلات التي تعج بها الحياة الإنسانية.

ولقد أثبتت الفلسفة حضورها ومرافقتها للإنسان في تجاربه الكثيرة والمتنوعة؛ فقد رافقته في تجاربه الميتافيزيقية التي عرف من خلالها معنى الخوف والخشية والرغبة والخضوع لقوى مفارقة لهذا العالم، وانتهى به الأمر إلى التسليم بوجود الآلهة المتعددة أو الإله الواحد، ولأن الإنسان وحده من دون سائر المخلوقات من له القدرة على طرح الأسئلة الوجودية والميتافيزيقية؛ فقد أطلق عليه اسم الكائن "الميتافيزيقي"، وقد حاربت الفلسفة وبوصفها تفكيراً عقلائياً كل ما له صلة بالخرافة والأسطورة، وكان ظهور الفكر الفلسفي حدثاً بارزاً، لأنه بمثابة الإعلان عن بداية عهد جديد في حياة الإنسان، فبعد أن كان التفكير يتسم بالعفوية والسطحية والسذاجة أحياناً؛ جاء فلاسفة اليونان ليرتفعوا به إلى قمة التنظيم، والتنظير، والعمق، والمعقولية، والشمولية، مع أن هناك من يشكك في مسألة أصالة الفلسفة اليونانية، ويظهر هذا في كتاب "التراث المسروق"، الذي يؤكد فيه صاحبه بأن الفلسفة اليونانية قد أخذت من الفراعنة.

كما رافقت الفلسفة الإنسان في تجاربه الأخلاقية وبحثه في مسائل الخير والشر؛ لتجعل منه كائناً أخلاقياً يسمو بروحه ويؤكد إنسانيته، ولم تتردد الفلسفة في مرافقة الإنسان في تجاربه المنطقية التي بحث من خلالها في معايير التفكير الصحيح والخطئ لكي يتفادى الوقوع في الخطأ والزلل، وظهر ذلك مع أرسطو الذي منطقت التفكير وعقله، ووضع ما يسمى "بالمنطق الصوري".

#### المطلب الثاني: الفلسفة ومواقفها للأحداث الكبرى:

إذا كانت الفلسفة كتفكير عقلائي قد حاربت الأسطورة فإنها في الحقيقة قد وظفتها، وتصالحت معها، ويظهر هذا واضحاً جداً في أسطورة الكهف عند أفلاطون، ومثلما تصالحت الفلسفة مع الأسطورة فإنها قد تصالحت مع الدين أيضاً، فعندما جاء الدين المسيحي ثم الدين الإسلامي كحدث بارز في حياة البشرية؛ عرفت العصور الوسطى سعياً حثيثاً من طرف الفلاسفة للتوفيق بين الفلسفة والدين؛ مؤكدة على لسان كثير من الفلاسفة المسلمين والمسيحيين؛ بأنه لا تعارض بين حقائق الوحي وحقائق العقل، وظهر ذلك بوضوح عند ابن رشد في كتاب "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، والذي يؤكد فيه بأنه لا تعارض بين الحقيقة التي يصل إليها العقل، وتلك التي تأتي عن طريق الشرع، وهذا ما ذهب إليه فلاسفة المسيحية مثل توما الإكويني، والقديس أوغسطين، ففي العصور الوسطى سيطر الجانب الديني على موضوعات الفلسفة، وبرزت محاولات التوفيق بين العقل والنقل، وبذل الجهد في الدفاع عن العقائد والحقائق الدينية، والبرهنة على أن الحقائق الموحى بها من الله ليست إلا تعبيراً عن العقل.

وعندما ظهر العلم في العصر الحديث منفرداً بالمنهج التجريبي على يد فرنسيس بيكون؛ واكبت الفلسفة هذا الحدث البارز واتجهت وجهة علمية، ومعظم الفلسفات الحديثة الكبرى في الغرب لا تفهم إلا في ضوء موقف معين اتخذته من العلم، تستوي في ذلك فلسفة بيكون وديكارت واسبينوزا وليبنتز وكانت، وحتى هيجل وهوسرل، ولكن من الواجب أن نفرق بين هذا النوع من الارتباط بالعلم، وبين شكل الارتباط الذي كان قائماً في العصر اليوناني. ففي المرحلة اليونانية كانت بدايات العلم وبدايات الفلسفة واحدة، وكان الإنتاج الفلسفي هو ذاته إسهم في إنتاج العلم. أما في العصر الحديث فقد أصبحت للعلوم مناهجها وموضوعاتها الخاصة؛ فقد أصبح دور الفلسفة إما ممهداً للعلم وإما لاحقاً له، ولكنه لا يسير معه



على طريق واحد، ولا يستهدف معه غاية واحدة. قد تحاول الفلسفة تأسيس العلم، وقد تحاول جمع نتائجه في نظرة شاملة إلى الكون، ولكنها لا تدعي في أية حالة أنها تصنع العلم. إنها قد تتولى مهمة التمهيد له أو التعليق عليه، ولكنها لا تزعم أبداً أنها تشاركه في سعيه التدريجي الدؤوب من أجل كشف قوانين الطبيعة<sup>15</sup>.

وقد تجلى التوجه العلمي للفلسفة في مذاهب فلسفية ذات نزعة علمية؛ كتلك التي بدت واضحة عند الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل (Bertrand Russell) (1872-1970)، ففي منتصف القرن العشرين رأى راسل أن على الفلسفة أن تكون علمية في جوهرها؛ فهي ينبغي أن تستخرج أحكامها من علوم الطبيعة، وليس من الدين أو من الأخلاق كما يتوجب أن يكون المثل الأعلى للفلسفة علمياً، وفي الأخير فإن ميدان نشاط الفلسفة يقتصر على المشكلات التي لم يتوصل العلم بعد إلى دراستها دراسة علمية فهي تقوم بدور فاعل الطريق أمام العلم، ولم يعتقد راسل منذ البداية أن بإمكان الفلسفة أن تقدم إجابات مؤكدة كثيرة، وحيث أن وظيفتها هي أن تفتح مجالات أمام العلم؛ فإن عليها أن تثير المشكلات لا أن تجد حلاً لها.

إن الأهمية الرئيسية للفلسفة من منظور راسل هي مهمة نقدية، ولذلك ينبغي على الفيلسوف أن يوضح المفاهيم والقضايا والبراهين العلمية، وذلك عن طريق وضعها جميعاً تحت مجهر التحليل المنطقي المفصل، ومن مزايا هذه الطريقة في تناولها أنها تنبّه العقل، ولها من القيمة ما يفوق الإجابات الفلسفية التي تحمل الشك بطياتها إلى الأبد، وقد تحوّل راسل من بعد ذلك إلى موقف اللإرادية المتعقلة اقتناعاً منه بأن العلم الطبيعي وحده هو القادر على تقديم معلومات عن الواقع، وأن ذلك العلم من ناحيته لا يستطيع أن يتجاوز حد الاحتمال. ومن هذه الوجهة للنظر فإن راسل يستمر على طريق نفس التراث التجريبي والوضعي الإنجليزي، وخاصة على نحو ما شكله عليه هيوم وجون ستيوارت مل<sup>16</sup>.

والمأمل في تاريخ الفكر يدرك بأن هذا الأخير يتأثر بالكشوف العلمية الكبرى؛ أو النظريات العلمية التي تغير من رؤية الإنسان للعالم؛ أو النظريات السياسية التي تفيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع؛ أو الثورات التي تؤدي إلى تغيير جذري في أوضاع المجتمع؛ فنظرية "كوبرنيقس" مثلاً دفعت الفلسفة إلى إعادة بناء موضوعها وتغيير مناهجها. كما أثرت في بناء الفلسفة الكانطية، وكان لها دور بارز في الانتقال من دراسة العالم والطبيعة إلى دراسة الإنسان أو الذات، والظروف الاجتماعية والثورات والحروب، وما يترتب عنها من استعمار واحتلال دوافع لتغيير مسار الفكر وموضوعاته، فالاحتلال الفرنسي أثر في اتجاه فيلسوف مثل "فشته" لأن أصبح فلسفته دعوة لوحدة الأمة الألمانية، وتغيير الواقع<sup>17</sup>.

والفلسفة لا تنبع من فراغ، ولا تتجه إلى فراغ؛ فللفلسفة غاياتها وأهدافها ورهاناتها، وتلك هي المقولة الأساسية للفلسفة وتاريخ الفلسفة هو التربة التي تنبت منها الفلسفات والمذاهب الفلسفية، فلكل مذهب بذوره الكامنة في التاريخ، وتظل هذه البذور كامنة حتى تجد المناخ المناسب للنمو والتطور، ويبين لنا تاريخ الفلسفة بأنه لا وجود لمذهب واحد مقدس، وليس هناك مذهب واحد لمعالجة قضايا الواقع ومشكلاته، وهناك من جعل المثالية تستوعب كل المذاهب، وهذا لا يعني القضاء على المذاهب الأخرى، وإنما المثالية أفضل من تحقق لها الأساس المتين الذي يمكنها من الاستمرار، فالمثالية لا تعارض العلم أو الاهتمام بالواقع، ولا ترفض التجربة الحسية والخبرة<sup>18</sup>، وإذا كانت الفلسفة قد رافقت الإنسان عبر تجاربه المتنوعة وعبر الأحداث والتحويلات الكبرى التي مرت بها الإنسانية فإنها ولا شك على قدر كبير من الأهمية.

## المبحث الرابع أهمية الفلسفة

المطلب الأول: الفلسفة ومبررات حضورها الدائم:

إن الفلسفة تملأ دروبنا وتتخلل جوانب حياتنا وتوجه جميع أعمالنا؛ حتى لتجد في أقوال الناس وأفعالهم مواقف فلسفية واضحة أو كامنة، فكل ما حولنا يدفعنا إلى اتخاذ مواقف معينة من الله والكون والحياة والناس.. وهذه هي الأمور التي يجب أن نحدد موقفنا منها، وإن كان فيها ما لا يمت إلى العالم المادي بصلته فإنها تدخل في صميم المعضلة الإنسانية الكبرى، فلا يستطيع الإنسان، أي إنسان أن يظل غريبا عنها غير مبال بها، إلا إذا تنكر لإنسانيته وتخلي عن طبيعته.. بل إننا إذا رفضنا أن نحدد موقفنا منها فهذا الرفض نفسه ينطوي على موقف فلسفي معين<sup>19</sup>.

والحياة الإنسانية بما تحمله من هموم ومشكلات؛ لا تخلو من نظرة إلى العالم، ومن تكييف لظروف الحياة ومعالجتها تبعا لهذه النظرة، وهذا يعني أن الإنسان سيجد نفسه مرغما على التفلسف؛ طالما أنه سيحاول أن يتخذ موقفا من قضايا الحياة ومشكلاتها وبذلك يبدو التفلسف بالنسبة إليه على أنه ضروري، فهو على حد تعبير "ميرسن" يتفلسف كما يتنفس<sup>20</sup>. والتفلسف إنما هو من قبيل التنفيس عن الحياة كالشعر والموسيقى، وهو محاولة لجعلها شيئا مطلقا محتملا له قيمة ومعنى وله غاية وهدف، إنه رغبة في التمتع بالوجود كما يجب أن يكون، وهو ضروري لنمو العقل والشعور بالذات ضرورة التنفس لنمو البدن واستمرار البقاء، وحسب الإنسان فيه أن يتخطى معطيات التجربة والواقع المحسوس لا ليسخرها لأغراضه وغاياته، بل ليفهم الكون ويسبر غوره، وليبني نظاما من الأفكار والمعاني يغني به مضمونه ويخصب حياته ويساعده على الوصول إلى أعماق الوجود، وإذا كانت الفلسفة قد فقدت ثقة الكثيرين اليوم، فلأنهم يريدون أن ينصرفوا إلى العلوم، فهي أجدى لهم وأقوم، ولكن العلم لا يستقيم بلا فلسفة، ثم إن العلوم قد نشأت وترعرعت بين أحضانها حتى إذا استقلت عنها؛ أخذت تتوقف في وصفها للأشياء عند عللها القريبة تاركة للفلسفة الأم مهمة مواصلة السير بحثا عن العلل البعيدة والمبادئ القصوى، والعالم بحاجة إلى أساس فلسفي يقوم عليه، كما أن تقدم الفلسفة كان من أهم بواعث التقدم العلمي، وأفضل العلماء من استطاع التفلسف في علمه<sup>21</sup>.

المطلب الثاني: أهمية الفلسفة في عصر العلم:

إن التأخر العلمي وثيق الصلة ولا شك بالتأخر العقلي والفلسفي، ولذلك ينبغي الانكباب على الفلسفة والعلوم العقلية لإنجاب المفكرين والعلماء. وما ذلك إلا لأن الفلسفة إنما هي أساس العلم، ولأنه ما من ثورة اجتماعية أو دينية أو سياسية.. قامت إلا وكان وراءها فلسفة ما. فما التاريخ إلا تاريخ فلسفات وإيديولوجيات وأفكار، ولأن قضايا الفلسفة الأساسية عميقة الجذور في الفكر الإنساني فنحن لا نكاد نجد مجالا إلا وهو مرتبط بها. أي أن لأي مجال من المجالات فلسفته. فإن كان هناك علم بمجال معين مثل علوم الأشياء الطبيعية كالفيزياء أو الكيمياء أو المجتمعات الإنسانية كالاقتصاد والسياسة، فإن ذلك العلم لا شك مرتبط بفلسفة معينة، وإن كانت هناك ممارسات أو أعمال في مجالات معينة (كالعمل التجاري أو الزراعي أو الصناعي) فإن تلك الأعمال والممارسات تنبثق - لا مناص - من فلسفات معينة<sup>22</sup>.

وينبغي التأكيد هنا على أن الفيلسوف لا يستطيع أن يقدم لنا؛ مهما بلغ من سداد الرأي وشمول النظر حلولا نهائية للقضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان، تلك التي تتعلق بأصله ومصيره وقدره والغاية من وجوده، وكل الحلول التي يقدمها تظل حلولا مؤقتة ونسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان والمرحلة التاريخية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وهذا هو سر مجد الفلسفة ولباها وفيه تنحصر مهمتها في الحياة الإنسانية<sup>23</sup>، ولعل الأهمية الكبرى للفلسفة تكمن في كونها تسمو بنا فوق ذواتنا، وتهبنا الشعور بالوجود العميق، وتوغل بنا في حقائق الأشياء، وإذا كان الأمر كذلك فإن على الإنسان أن يتفلسف.



وكلمة "التفلسف" في نظر أرسطو تدل من ناحية على السؤال عما إذا كان من واجب الإنسان أن يتفلسف، كما تدل من ناحية أخرى على أن نهيب أنفسنا للفلسفة، لأنها بمثابة الأداة التي تفيدها في تسيير وتيسير شؤون الحياة، واستخدام هذه الأداة مقرون بالخطر؛ فهي تؤدي إلى عكس نتيجتها على يد أولئك الذين لا يُحسنون استعمالها. إنه ليس أكثر بطلانا من إنكار أهمية الفلسفة في الحياة. صحيح أن الفيلسوف لا يحتل دائما مكانة مشهودة في الحياة اليومية، وقدره في الأغلب أن لا يفهمه القوم إلا بعد موته، وإن كان التاريخ قد عرف فلاسفة ذاقوا طعم المجد في حياتهم، من مثل أفلاطون وتوما الإكويني وهيكل وبرغسون، ولكن حتى في مثل هذه الحالات، فإن الأمر كان أمر موافقتهم لذوق العصر، ولم يكن أمر تفهم شامل من جانب العصر لفلسفاتهم.

ومهما بدا في الظاهر من عدم جدوى الفلسفة؛ إلا أن الفلسفة في الواقع قوة تاريخية مؤثرة وفاعلة، فينبغي أن نوافق وإيتهد حين يقارن ما أحرزه الاسكندر المقدوني أو قيصر الروماني أو نابليون من نجاح؛ بالنتائج التي تبدو في الظاهر غير مثمرة التي يحصل عليها الفيلسوف، فالواقع أن الذي يغيّر مسار الإنسانية إنما هو الفكر؛ إن الفيلسوف الذي تسخر منه العامة لأنه يعيش في عالم أفكاره التي تبدو بريئة هو في الحقيقة قوة مهولة، وفكره ذو تأثير لا يقل عن تأثير الديناميت، وهذا الفكر يسري في مجراه ويلمس عقلا بعد الآخر ليصل في النهاية إلى الجماهير. ثم تأتي اللحظة التي ينتصر فيها على كل العقبات، وليوجه مسار حركة الإنسانية أو يحفر قبرا لحطامها<sup>24</sup>.

وقد تساءل أرسطو عن مهمة الفلسفة، ولماذا كان بلوغ الحكمة هو غايتنا القصوى؟ وتطرق في الإجابة عن هذا السؤال للحديث عن العلاقة بين الجسم والنفس، ففي داخل النفس يكون الأعلى هو الجزء الحائز على العقل ومملكة التفكير، وهو يعبر وحده عن ذاتنا الحقيقية، أما عن المهمة الأساسية للفكر فهي التوصل للحقيقة، ونحن نسعى في طلبها عن طريق التأمل الفلسفي ونبغ أسى درجة في هذا التأمل عندما نطلبها لذاتها، ثم يستطرد أرسطو إلى الكلام عن العلاقة بين العلم والرأي؛ فالعلم والمعرفة الدقيقة أجدر بالاختيار من الرأي الصادق، وأجدر شيء بالاختيار عند الإنسان هو التبصر الفلسفي؛ ولهذا يسعى الناس جميعا لطلب المعرفة والحياة العقلية بجانب هذا كله حياة غنية بالفرح، والعقلاء من الناس ينشدونها ويجدون في طلبها للاستمتاع بالأفراح الحقة والمسرات النبيلة، وليس ثمة شيء إلهي في الإنسان إلا شيء واحد يستحق وحده عناء الجهد، ذلك هو العقل والتبصر الحكيم أو التفلسف، وإن حياة تخلص من التأمل لهي حياة تخلص من كل قيمة ولا تليق بإنسان<sup>25</sup>.

إن الفلسفة توقظ العقل من سباته وتدفعه إلى التساؤل، والبحث، والتفكير، والنظر، والتدبر، كما أنها تنظم عقل الإنسان وتضبط تفكيره، يقول ديكارت: "إن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الأقسام المتوحشين. إن حضارة الأمة وثقافتها إنما تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها"<sup>26</sup>، إن الفلسفة وسيلة لوعي الإنسان بذاته، وسبيل لمواجهة نفسه، فالتفكير الفلسفي وعلى حد تعبير كارل ياسبرز يضع الإنسان وجها لوجه أمام ذاته. كما أن الفلسفة تقوي ملكة النقد والتحميص والموازنة وتناى بنفسها عن التقليد دون برهان أو دليل، وتفتح المجال للتوصل إلى المعارف والأفكار الجديدة<sup>27</sup>.

إن التأمل والمعرفة جديران بأن يسعى إليهما الإنسان؛ إذ بغيرهما يستحيل على المرء أن يحيا الحياة التي تليق بإنسانيته، ولكنهما كذلك نافعان للحياة العملية، فما من شيء يمكن أن يبدو لنا خيرا؛ إن لم تحقق الغاية منه عن طريق التدبر والنشاط العاقل الحكيم وسواءً أكانت الحياة السعيدة تكمن في البهجة والهناء أم في الفضيلة والسمو الخلقى أم في التعقل؛ فلا بد للإنسان في كل هذه الأحوال من أن يتفلسف؛ لأننا لا نتوصل إلى الرأي الواضح في كل هذه الأمور إلا عن طريق التفلسف.

## المبحث الخامس

### مآل الفلسفة في العصر الرقمي

المطلب الأول: وضع الفلسفة في العصر الرقمي:

لقد سجّلت البشرية عقب ظهور الأنترنت<sup>28</sup> تطورات مذهلة في مجال الاتصالات؛ فقد حدثت ثورة معرفية اتصالية جديدة أدت إلى تغيير وجه العالم، حيث أصبح الاتصال والتواصل التكنولوجي سمة أساسية لعصرنا هذا؛ الذي يشهد تقدماً هائلاً في العلوم التطبيقية ووسائل المعرفة الرقمية، التي أدخلت الإنسان في عصر يتميز بالتناقضات والتعقيدات التي انبثقت من اللقاء والتشابك الحضاري، وقد أدت الثورة المعرفية الاتصالية التي أحدثها التطور التكنولوجي السريع إلى التأثير على الفلسفة والمعرفة النظرية أو بالأحرى على الكلمة، وممارسة التأمل ذلك الذي عرفت به الفلسفة واشتهرت، وهذا من دون شك يدفعنا إلى التساؤل عن مصير الفلسفة في العصر الرقمي، الذي لا يترك مجالاً للتأمل.

ولا أحد بوسعنا اليوم أن يقلت من قبضة العالم الرقمي الذي يحيط بنا في كلّ مكان. إنّنا نودع فوق سطوحه كلّ أشكال غسيلنا وخصوصيتنا، ونوكل إليه صناعة ذاكرتنا، وننسى كلّ لحظة لكي يحزّنا من جهلنا أحياناً حول بعض أسياننا الصغيرة، حول أجسادنا وأمراضنا والفيروسات الجديدة التي تهدّدنا. حول العالم الكبير، وحياة الكوسموس، وحكاية الثقوب السوداء، والخريطة الجديدة لأجرام السماء! وحين يأتي المساء نختلي بحواسيبنا أو هواتفنا كي نقضي معها معظم أوقات راحتنا.. نتواصل مع حبيب أو وليد.. نتقاسم قصائدنا وخواتمنا وصورنا وحكاياتنا ونجاحاتنا على صدر العالم الرقمي! ما أرحب ذلك الصدر فهو يتسع للحمقى والمغفلين والعظماء والتافهين والمتألمين والمتنقلين والمشعوذين أيضاً.. وعلى صدر العالم الرقمي ينام العشاق على حلم أجمل أو على فراق.. وبين تضاريسه الافتراضية تولد السياسات واللوبيات.. وهناك قد تتمّ سرقة المعطيات وتصبح الذوات متاحة ومباحة.. وتنتهي أسطورة الأسرار ومساحة الشخصيّ جدياً.. وتتقلّص المسافات والمساحات.. وتسقط الفواصل الجغرافية بين البشر.. والزمان أيضاً يتخذ إيقاعاً جديداً<sup>29</sup>.

وقد أدى التطور التكنولوجي إلى ظهور ما يسمى بالإعلام الرقمي<sup>30</sup> أو الإعلام الجديد، وهو مصطلح حديث ظهر في مقابل مصطلح الإعلام التقليدي القديم في الجزء الأخير من القرن العشرين، ليشمل دمج وسائل الإعلام التقليدية مثل الأفلام والصور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمطبوعة، مع القدرة التفاعلية للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات، وتطبيقات الثورة العلمية التي شهدتها مجال الاتصال والإعلام، حيث ساهمت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال في التغلب على الحيز الجغرافي والحدود السياسية، والتي أحدثت تغييراً بنويًا في نوعية الكم والكيف في وسائل الإعلام.

ولوسائل الإعلام في عالمنا المعاصر قدرة عالية على التأثير القوي والفعال على المتلقي نظراً لوفرتها وتنوعها، وجاذبيتها، حيث يتمّ توظيف جميع الجوانب الجمالية والنفسية في جذب الانتباه والتأثير، والإقناع، بالإضافة إلى خصوصيتها، يمكن للمتلقي التعامل مع تلك الوسائل بخصوصية تامة، كما يحلو له، ولعلّ أخطر ميزة تتميز بها وسائل الإعلام هي خاصية عدم الالتزام، فهناك وسائل إعلام كثيرة لا تلتزم بالقيم ولا تقيم وزناً للمعايير الأخلاقية أو الثقافية أو الاجتماعية؛ مع قدرتها على اختراق كل المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية عموماً، وهذا ما جعل أثر الإعلام يفوق أثر المدرسة والأسرة، وجميع مؤسسات المجتمع الأخرى<sup>31</sup>، وإذا كانت وسائل الإعلام على هذه الدرجة من القدرة على التأثير على المتلقي أينما كان، وحيثما وجد، فإنها ومن دون شك ستكون بمثابة المنافس الشرس للتربية، خاصة وأن هذه الأخيرة لا تسير بنفس إيقاع وسائل الإعلام.

إن السؤال عن مآل الفلسفة في العصر الرقمي؛ يقودنا من دون شك إلى التساؤل عما إذا كانت الفلسفة قادرة على مواجهة تحديات العصر والدفاع عن حصنها، وتأكيد مشروعيتها واستمراريتها وقدرتها على مواكبة الأحداث والتطورات

الحاصلة؛ مثلما فعلت من قبل، أم أن العصر الرقمي بلغته الرقمية سيؤدي إلى أقول الفلسفة، وتراجع دورها وأدائها، وتأثيرها في مجريات الحياة.

لقد أصبح إنسان هذا العصر يبحث عن اختصار الوقت وتوفير الجهد، وهو ما أتاحت له اللغة الرقمية التي هيمنت على مجريات حياته لتسد الطريق أمام اللغة العادية لغة التأمل رافضة أن تنتظر ولو للحظات، والفلسفة طابعها الانتظار، فقد عودت الفلسفة على التأمل والانتظار إلى آخر النهار، لأنها وكما عبّر عن ذلك الفيلسوف الألماني هيغل بمثابة طائر الحكمة، والذي هو البومة التي تطير فقط عند أقول النهار، وهذا يعني أن الفلسفة هي النظام الذي يأتي بداية الليل بعد نهار من المعرفة والتجارب ولكن أجواء التأمل لم تعد متوفرة اليوم، في العصر الرقمي الذي يشهد تدفقا علميا وتكنولوجيا هائلا؛ هو بمثابة السيل الذي لا يتوقف عن الجريان والفلسفة على ما يبدو ترفض الاستسلام، فهي من جهة ترفض أن تتخلى عن وظيفتها التأملية لأنها روحها وجوهرها، وهي من جهة ثانية ترفض أن تكف عن متابعة الواقع المتقلب والمتغير؛ لأنها وكما يقول الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر إدغار موران (Edgar Morin)<sup>32</sup> "محكومة بأن تفكر الإنسان وتفكر الحياة وتفكر العالم والواقع، ومن المفترض لهذا التفكير أن يكون له مفعول راجع على العلوم وأن يوجّه الحياة"<sup>33</sup>.

#### المطلب الثاني: الفلسفة وتجاوبها مع العصر الرقمي:

إن على الفلسفة اليوم أن تثبت بأنه لا شيء بإمكانه أن يقضي على التأمل، والتخيل الرحب في ميتافيزيقا الحب والخلق والسعادة والتعاسة، وكل ما يفسح المجال للتأويل بوصفه دينامية أساسية في التفكير الفلسفي؛ الذي يتميز بوصفه تفكيراً شمولياً حتى أن الفلسفة قد عرفت بأنها أم العلوم، فهي العلم الكلي الشامل، وقد كان هذا شأنها قبل أن تستقل العلوم عنها تباعاً في العصر الحديث والحق أن الفلسفة قد ظلت على صلة بالعلم على الرغم من الفصل المزعوم بين الفلسفة والعلوم؛ ذلك الذي افتعله البعض من أصحاب التوجه العلمي الوضعي الذي لا يجعل للفلسفة مكاناً اليوم، ويتجلى هذا الطرح عند أوجست كونت في ما يسمى بقانون المراحل الثلاث، وهي المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية الفلسفية، والمرحلة الوضعية، وبهذا تكون مرحلة التفكير الميتافيزيقي هي مرحلة تجاوزها الزمن، فالحاضر والمستقبل للعلم، فلا مكان للميتافيزيقا اليوم لأنه لا فائدة ترجى منها، فهي وكما عبر عن ذلك الفيلسوف البراغماتي الأمريكي وليام جيمس؛ تشبه امرأة عمياء تبحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة.

إن الإجابة المتعلقة بالتساؤل عن مآل الفلسفة في العصر الرقمي؛ يمكن التماسها فيما تقدمه الفلسفة من إسهامات ومحاولات للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالتحديات الكبرى التي أنتجها التطور العلمي والتكنولوجي الهائل، والتي تعتبر العمولة على رأسها، وقد أدت هذه الأخيرة إلى تغيير كثير من المفاهيم على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ حيث جعلت العمولة من العالم قرية مصغرة، وعملت على استبدال مفهوم الخصوصية بمفهوم العالمية والكونية، وإذا كانت الفلسفة على مستوى "المفاهيم" هي تاريخ من المفاهيم الكبرى التي تفاعلت، وأثرت في التغيرات المهمة لتصورات، ومفاهيم، وقوانين، وأخلاق البشرية فإنها على مستوى "نمط الحياة" هي تحسين القدرة على التفكير والعيش، والقدرة على النقد العقلاني، فالفلسفة تجعل المرء ذاتاً مفكرة واعية نشطة معبّرة عن العقل وحضوره في العالم لتفكر في حالات الوجود والموت، حتى في عصر العلم، وهنا يصحّ إدغار موران بأن الوحدة بين العلم والفلسفة، مهما كانت صعبة فهي أمر مطلوب ومرغوب فيه، وممكن التحقيق؛ رافضاً الانسياق وراء دعوات الفصل بين الفلسفة والعلوم<sup>34</sup>.

والفلسفة بوصفها خطاباً شمولياً وموسوعياً متمكناً في استنباش المقصي والمهملي؛ في كل المجالات والميادين كافة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عموماً؛ يفترض بها أن تتجاوب مع الوتيرة المتسارعة التي يسير بها عصرنا هذا، فنحن نعيش اليوم في زمن يتميز بالوتيرة المتسارعة لحركة استلبت وقتنا وحشرته بحيز استهلاكي؛ لا مجال لمقارنته

باليوم الذي كان لدينا فيه مجال واسع للتأمل في ما بعد الطبيعة...وما بعد الدين...أو في ما بعد العقل، وأصبح التفكير في غير السلطة ضرباً من الانتماء إلى العالم الأفلاطوني الذي صار في عيون جيل "الواتس أب" بصورة إنسان يقرأ كتاباً ورقياً. إن الوضع الراهن يفرض علينا التساؤل عما سنهمك فيه مجدداً، عندما تتضح الصورة وينجلي المشهد العصري، كاشفاً عن مخلفات إعصار تكنولوجياي وثورة بيولوجية، أطاحا بالبنیان المعرفي للإنسان الذي كان معتداً بنفسه؛ فبعدما أثبت الوعي العلمي نجاعة في مجال الاختراع ظن الإنسان أن لديه أيضاً مقدرات كافية لاكتشاف المعضلة الميتافيزيقية، لكن لما عاد وخاب أمله بالمعرفة العلمية في استكشاف اللغز الميتافيزيقي، لعدم التلاؤم بين الوسيلة والغرض؛ إذ كيف بمتغيرات المعرفة العلمية أن تمسك بناصية حقيقة ماورائية ثابتة ليست من صنف المعرفة العلمية ولا تقع في مجالها، بل هي تنتهي إلى فضاء الإيمان بميتافيزيقا الطبيعة... أو الله... أو العقل<sup>35</sup>.

وإذا كان عهد الفلسفة الشاملة والجازمة قد مضى وانقضى؛ فإن السؤال الفلسفي يظل حاضراً ليؤكد عجز الإنسان عن إيجاد الحلول لكل المشكلات التي تواجهه في الحياة، فكلما اكتشف الإنسان حلاً، وكلما اشتق لنفسه طريق علم، أدرك حقيقة نقصانه وخواء وجوده في فضاء الميتافيزيقا، ولأن الفلسفة تتسم بعناد فطري، فقد أبت التخلي عن وظيفتها، أو بالأحرى عن مقامها كمرشد روحي للإنسان التائه في مستكشفات علمية، بينت له قصوره عن فهم ما كان يظنه مفهوماً<sup>36</sup>، وهنا ينبغي الاعتراف بأن الميتافيزيقا وعلى حد تعبير هيدغر "ليست شيئاً، نستطيع وضعه جانبا كرأي، ولا يمكن تركها خلف الأكتاف كمنذهب انتهى الإيمان به إنها شيء يبقى فينا كأثار مرض، أو كألم نركن إليه"<sup>37</sup>.

وإذا كنا في عصر الثورة التكنولوجية، فإننا ومع ذلك لا نستطيع الاستغناء عن الفلسفة. وهذه الأخيرة لن تتعافى من علة الميتافيزيقيا؛ فالميتافيزيقا تظل كامنة لتظهر من جديد وعلى الأقل في تفكير الضعفاء وعديمي الحيلة، ممن لا تتوافر أمامهم سبل الانكباب على الماديات والملاذات، أو الانهماك بمشاغل الحياة، ولأن الإنسان كائن ضعيف وضيق الأفق أمام الاتساع الرهيب واللامحدود للحقيقة فسيبقى محتاجاً دوماً إلى الميتافيزيقيا كمالاذ يلجأ إليه لحظة يدب فيه الوهن. إنها لمصاب قدري، لا مناص منه فالميتافيزيقيا موجودة، وستبقى كذلك ما دمنا موجودين.

ولا شك أن التقليل من أهمية الفلسفة في عصرنا هذا لا يعود إلى تراجع نشاطها ودورها فحسب، إنما يعود ذلك أيضاً لانهار العامة بالمنجزات العلمية والتكنولوجية إلى الدرجة التي تحوّل فيه النظر إلى الفلسفة، نظراً في ماضي أفلاطون وسقراط ليس إلا. فالكل ينظر إلى حصاد العلم الذي هو في المتناول، بطريقة عينية ومادية، في حين أن حصاد الفلسفة يظل رجاء وأمل بعيداً لا يمكن التحقق منه، وهذا ما يبرّر العزوف عن الفلسفة.

لقد صار لأبناء "الأنترنت" إدراك مختلف لمعنى وجودهم، ومذاق مغاير للأجيال السابقة عليهم، فجبل اليوم أو جيل العصر الرقمي لا وقت لديه للتأمل والانتظار؛ فقد تعود على الجاهز والعملي، بعد أن ظهر مارد المعرفة الرقمية الذي قرر اكتساح الكلمات التي ابتكرها الفلاسفة ليضعوا عالماً موازياً للعالم الواقعي، وهذا عبر التأمل. فالوتيرة المتسارعة للتطورات التكنولوجية المطردة يوماً بعد يوم، تعمل على إزاحة الكلمة عن مقامها.

لقد وصل الانهار بالمنجزات العلمية إلى مستوى الرهان على نتائجها في اكتشاف العلة الأولى، كالإيمان بأن برامج الاستكشافات الفضائية لوكالة (ناسا - Nasa) مثلاً، ستفضي إلى التقاط اللغز المختبئ في غياهب السماء، وكل من صارت قيمة يومياته مرتبنة بمعنى استعماله (الواتس أب والفييس بوك)، يضمّر في داخله إيماناً بقدرة التكنولوجيا على حل مشكلات الزمن الماضي والزمن الآتي على حد سواء.

لقد هيمنت التكنولوجيا والعلوم الرقمية، وتعني هذه الأخيرة تلك العلوم الجديدة التي ظهرت نتيجة لاستخدامات الحاسوب المتعددة وتطبيقاته التكنولوجية الهائلة، وكذلك العلوم التي كانت موجودة قبل ظهور الرقمية، لكنها استفادت من الرقمية واستخدمت أدواتها في تطوير ذاتها، وظهرت في شكل رقمي تفاعلي؛ ومن هذه العلوم على سبيل المثال لا الحصر:

علوم المعلومات "Information Sciences"، وعلوم البيانات "Data sciences" والإنسانيات الرقمية "Digital Humanities" واللغويات المعلوماتية "Informatics Linguistics"، والمعالجة الآلية للغات الطبيعية "Natural Languages Processing"، وعلم الذكاء الاصطناعي "Artificial intelligence science"، والإبستمولوجيا الرقمية "Digital Epistemology" والصحافة الرقمية "Digital Journalism"، والإعلام الرقمي "Digital Media"، والأدب الرقمي "Digital Literature"، وغيرها من العلوم. وقد باتت للعلوم الرقمية وتقنياتها تأثير كبير على جوانب الثقافة الإنسانية، تلك العلوم التي لا تزال تبحث عن شرعية الاعتراف بها كعلوم في الأوساط الفكرية والفلسفية، وفي سبيل مواكبة العصر والتأقلم مع معطياته التقنية، يجب السعي نحو فهم عقلي فلسفي للعلوم التي أوجدها وطورها العصر الرقمي، ذلك الفهم الذي يبحث في أسس ومناهج وأخلاقيات ونتائج هذه العلوم الرقمية. كما ينبغي العمل على دراسة العلوم الرقمية دراسة فلسفية معيارية، وبما أنّ العلوم الرقمية تعبر عن روح العصر حيث جاءت مصاحبة للتقدم العلمي والتكنولوجي الكبير؛ فإنه من الضروري البحث في أسس هذه العلوم ومناهجها وأخلاقياتها ونتائجها، بما يكفل لنا الاستفادة من هذه العلوم، وجني أكبر قدر ممكن من ثمار الرقمية، دون التفریط في قيمنا وأصالتنا.

وتعتبر الرقمية وما تملكه من أدوات وتكنولوجيات فائقة؛ من أكبر مولدات للبيانات علي وجه الأرض في أيامنا هذه حيث تعد هذه البيانات مصدراً كبيراً وأساسياً من مصادر إنتاج المعرفة، ولا ينبغي للمفكرين والفلاسفة أن يتروكوا شأن دراسة العلوم الرقمية ومعالجة البيانات وإنتاج المعرفة وإدارتها لاختصاصي التقنية وحدهم، فمن أجل فهم العالم المعاصر ومقاربة مستجداته يجب أن تؤخذ العلوم الرقمية في الاعتبار، ويجب أن تتم دراستها دراسة فلسفية معيارية خالصة؛ فمن أهم صفات العلوم الرقمية أنها علوم بينية تدعم عملية الإنتاج المعرفي المشترك، يسهم في إنتاجها فرعين معرفيين متباينين على الأقل، كما أنها علوم يغلب عليها الطابع المعياري المجرّد<sup>38</sup>.

إنه لا مناص لنا اليوم من اتخاذ موقف نقدي استشرافي معاً. فالإنترنت التي تسم العصر الرقمي ليست معتقداً جديداً بالمعنى التبشيري، وليست أيضاً كارثة تهدد إنسانية الإنسان كما قد يحلو لبعض المتشائمين القول، بل الأمر يتعلّق تحديداً بمعركة فلسفية حول ماهية التقنية؛ فلم يعد بوسعنا أن نفكر وفق التناقض التقليدي بين الإنسان كماهية والتقنية كأشياء. وربما علينا تجديد معجمنا اللغوي ونحن نتحدّث اليوم عن التقنية. نحن مطالبون بتحرير الخطاب أيضاً من هذا الوهم الماهوي الذي ورثناه من التصورات التقليدية لأنفسنا كما لو كان الإنسان ماهية ثابتة، وأنّ كلّ الأشياء التي تؤثت عالمه هي مجرد أشياء لا ترتقي إلى طبيعته الجوهرية. هويات هشّة.

لقد سقطت الهالة عن البشر وانكشفت هوياتهم الهشّة والمتحوّلة؛ في ظلّ تحولات تكنولوجية وأنطولوجية عميقة لعلاقة الإنسان بالعالم. وهكذا يصبح من الضروري وفق هذا المنظور تغيير تأويلنا لمفهوم التقنية نفسها وتحريرها من ثنائية الذات والموضوع والكينونة نفسها هي هذا العالم التكنولوجي المعقّد بألاته وأشياءه ومساراته وأنظمتها الرمزية، فالتقنية إذن "لا توجد في الأشياء فحسب، بل في الذوات أيضاً"، لقد أصبحت التكنولوجيا جزءاً جوهرياً من ماهيتنا كبشر، ولا أحد منا سيبقى إنساناً محضاً فكلّنا صرنا هويات هجينة بين الإنسان والآلة! حيث تكشف لنا الثورة الرقمية أنّ الكينونة والتقنية أمر واحد.

وهكذا فإن الثورة الرقمية تكون قد اخترعت للإنسانية عالماً جديداً هو عالم تصميمه الآلات الرقمية، والسؤال الخطير الذي يفرض نفسه هنا هو: أيّ مستقبل تعدّه لنا هذه الآلات؟ هل سيقع الاستغناء عن العقل البشري وتفويض مهارة الذكاء إلى الآلات الرقمية؟ أيّ وعد بالسعادة تحمله لنا العوالم الافتراضية؟ عالم مغاير، ولا يتعلق الأمر باختراع آلات



جديدة، بل بولادة عالم مغاير تماماً للعالم الواقعي التقليدي للبشر. إنَّ الأمر يتعلَّق بولادة عالم المستقبل، أي العالم الافتراضي. ولكن ما معنى العالم الافتراضي، وأي نوع من الكائنات تسكنه؟ وهل فقدنا الواقع بولادة الافتراضي؟ وهنا يمكن القول بأن الثورة الرقمية ليست مجرد تحوُّل تكنولوجي حصل في حقل التواصل بين البشر، وإنما هي حدث تاريخي بدَّل وجه العصر ووقَّع زمانية جديدة لكلِّ أشكال التفكير بالمستقبل، ولشكل الذكاء والذاكرة والزمان والمكان وهويَّاتنا كأشخاص أيضاً. لا أحد منا يعيش وحيداً في هذا العالم، ولكنَّ العوالم الافتراضية اخترعت أشكالاً أخرى من العزلة. عزلة الشخص عن بيئته الواقعية، وهجرة الجميع نحو الافتراضي لأنَّ الواقع صار لا يُحتمل بحروبه وأوبئته واحتباساته الأيكولوجية الخائفة؛ لقد أصبحنا اليوم نودع ذاكرتنا ومعطياتنا جميعها إلى الحواسيب؛ كما لو أننا لم نعد مطالبين بأن نكون أذكيا. فالذكاء صناعة تتكفَّل بها البرامج الرقمية بما هي جزء من كينونتنا الجديدة. ليس العصر الرقمي كارثة ولكنَّه ليس معتقداً جديداً. وربما أن الأوان لأن نتخلَّص من هذه الثنائيات العقيمة، وأن نخترع سلوكاً نظرياً جديداً في التفكير نفسه<sup>39</sup>.

إنَّ الثورة الرقمية ليست حدثاً تقنيّاً فحسب؛ بل إنها حدثٌ فلسفي أيضاً، وكما كتب "غاستون باشلار" في عام 1934م إنَّ "العلم يخلق الفلسفة فعلاً"، سنرى كذلك كيف تخلق التكنولوجيا الفلسفة، وكيف أنَّ الآليات والعلوم الرقمية نظريات مجسدة مما هو واقعي، أو فلسفات مُشيئة للواقع. هذا لا يعني فقط \_ كما أكد من قبل بعض الباحثين \_ أنَّ "ما يوجد في الآلات هو من الواقع الإنساني، ومن الحركات والأنشطة الإنسانية في سياقات مختلفة، بل يعني ذلك أنَّ الآليات التقنية والعلوم الرقمية كانت \_ وما زالت دائماً \_ آلات فلسفية"، أي شروط ووسائط لإمكانية تحقُّق ما هو واقعي، أو بصيغة أفضل مولداتٍ للواقع، لذلك وجب علينا لفهم هذه العلوم تبيان الأسس التي بني عليها كل علم من العلوم الرقمية، والمنهجيات التي يتبعها لتحقيق أهدافه.

كما ينبغي دراسة التحديات الأخلاقية التي تنتج مصاحبة لهذا العلم أو هذا الوسيط الرقمي، ومن ثم دراسة نتائج هذه العلوم وآثارها على مجتمعاتنا سلبيّاً وإيجابياً. وتظهر الإحصائيات أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم في ازدياد مستمر، وتدل هذه الأرقام على أن هناك انتشاراً واسعاً لأشكال تواصلية جديدة لم تكن معهودة حتى وقت قريب جداً، يربو عن العقد بقليل، ولا شك أن للأشكال التواصلية الرقمية خصائص وميزات وآثار ونتائج عدة على كافة المستويات الفردية والأسرية والمجتمعية والدولية والكونية. وفي كافة القطاعات؛ كذلك التربوية والأخلاقية والسياسية والدينية والثقافية وغيرها.

وقلة من مستخدمي التواصل الرقمي يدركون أو يفكرون بالعقل الذي يحكمها، وما تتضمنه من قيم، وما تصحبه معها من سلوكيات، وأنماط حياة، ومفاهيم جديدة، أو معاني جديدة لمفاهيم قديمة، وأكثر ما يقلق في هذا الواقع الجديد، هو استخدام هذه التقنيات دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية المترتبة علمين ودون النظر في معايير السلوك الضرورية لاستخدام أخلاقي فاعل ومؤثر وما يؤكد مشروعية هذا القلق ويزيده، ارتهان تطور هذه التقنيات بقيم السوق، على حساب القيم الإنسانية العليا، وتشويش إدراكنا، الذي طالما وثقنا به، لمجموعة من المفاهيم التي أصبحت بحاجة ماسة إلى إعادة النظر والتعريف، كمفهوم الزمن، والعالم، والثقافة، والهوية والاعتراب، والخصوصية، والحرية، وغيرها، الأمر الذي يستدعي وقوف العلماء والفلاسفة والمفكرين أمام هذا الواقع الجديد، ومقابلة ما يجري والنظر إليه بعين العقل والضمير الأخلاقي، فما هو دور الفلسفة على وجه التحديد، وأين هي مما يجري؟

قديماً، كان يتم التفريق بين ثقافتين، الثقافة العلمية والثقافة الأدبية، أمَّا الآن فأصبح لدينا ثقافة تقليدية وثقافة رقمية وأصبح لدينا أيضاً وسيطين ثقافيين: الوسيط الثقافي التقليدي (الكتاب) والوسيط الثقافي الرقمي (العلوم ذات الطبيعة التفاعلية). لقد فرضت العلوم الرقمية سلطتها بقوة وسرعة، وأصبحت تزاخم العلوم التقليدية بما تمتلكه من



أدوات وتقنيات جديدة أتاحت لها التنوع والانتشار، وأضفت الإثارة والابتكار، ساهمت في هذه الهيمنة الخطى السريعة التي يخطوها العالم الآن نحو رقمنة كل شيء.

وأمام هذا الوضع تصبح فلسفة العلوم الرقمية ضرورة ملحة في هذا العصر الرقمي، لتفرض نفسها كتخصص جديد يضاف إلى تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ حيث علت الأصوات وزادت الدعوات بالمناداة بضرورة نشر ثقافة التعليم الإلكتروني فأصبح تحويل جميع العلوم إلى صورة رقمية ضرورة في زمن التعليم عن بعد، وخاصة بعد إعلان فيروس كورونا (كوفيد-19) جائحة عالمية ومن ثم محاولة التغلب على تداعياتها بضرورة تقليل الاختلاط بين الناس منعاً لانتشار الفيروس<sup>40</sup>.

وقبالة التحولات العالمية الكبيرة، يجد المشتغلون بالفلسفة أنفسهم، وهم يطرحون تساؤلين هاميين هما: هل كان لفلسفة وموضوعاتها أثر في حدوث هذه التحولات، أو في تحديد اتجاهاتها ومساراتها، أو في توجيهها نحو غاية ما؟ وهل كان لهذه التحولات، في المقابل، آثار ملموسة على مسار الفلسفة وقضاياها واهتماماتها؟ ويتجه الحديث في الغالب نحو ما يؤكد تأثر الفلسفة بهذه التحولات، دون أن يكون لها دور ملموس في توجيه مسار ما جرى ويجري في العالم من تغيرات، حتى أن بعضهم تحدث عما أسماه "نهاية الفلسفة" كعنوان لإعلان انتصار التكنولوجيا على الإنسان، وتحول النظر إلى الأخير باعتباره مادة علمية وما نتج عن استقلال العلوم عن الفلسفة وفقدانها المكانة المرموقة بين العلوم، ما اضطرها إلى تكرار موضوعاتها "التقليدية" الموروثة ذاتها، في دلالة على الجمود الذي أصابها، وفقدان قدرتها على التأثير في العالم وما يجري بهي. في المقابل تحدث منظرو مستقبل الفلسفة عن اعتبار الأخلاق التطبيقية موضوعاً هاماً في مستقبل الفلسفة، على اعتبار أن المجتمع الغني والمثقف، سوف يرغب بالتفكير بشكل أعمق فيما يقوم به، ثم مع تقدم اقتصاد السوق، وتزايد وتيرة الاستهلاك، فإن الفلسفة سوف تشارك في الحسابات الأخلاقية المعقدة، التي يحتاج الأمر إلى إجرائها هنا. دون أن يعني ذلك التخلي عن أفكار الفلاسفة القدماء، بل اعتبارها نقطة انطلاق لهم.

ولا شك أن نمو استخدام وسائل الاتصال والتواصل عبر الإنترنت؛ لمختلف الأغراض العلمية والشخصية والتجارية والإعلامية يزداد يوماً بعد يوم، وأن طغيان تقنيات الاتصال الرقمي واكتساحها العالم أمر محكوم بالوقت بالدرجة الأولى. هذه الحقائق تفرض الحاجة إلى تطوير نظريات الاتصال والتواصل التقليدية، التي تستخدم فيها اللغة المحكية وما فيها من رموز وعلامات، وتكون فيها هوية المتحدث واضحة وحاضرة جسدياً، لتتناسب مع تقنيات التواصل عبر الشبكات الإلكترونية، الأمر الذي يعكس أهمية دراسة هذه المتغيرات، وكيف تؤثر في إقامة تواصل إنساني أخلاقي، فاعل، ومؤثر، ضمن شروط وقواعد أخلاقية تناسب البيئة الرقمية المتسارعة النمو والانتشار.

فبعد أن أصبحت القيم المادية وعقلية السوق تتحكم بالمنجزات العلمية والتقنية وتطورها وتطبيقاتها، سواء في مجالات الطب أو الهندسة أو الاقتصاد، أو الإعلام والاتصال، أصبح ضرورياً دخول الفلسفة، من بوابة الأخلاق التطبيقية، ونظم هذه العلاقة، لصالح الخير العام الإنساني، وسيكون هذا مقدمة لدور أكبر تؤديه الفلسفة في توجيه مسار التغيرات والتحولات العالمية في هذه المجالات من الناحية الأخلاقية. إن تداعي الكثير من الفلاسفة والمفكرين والإصلاحيين والتربويين للتنبيه عن قلقهم المشروع تجاه الرهانات المستقبلية التي تحكم مصير القيم والأخلاق الإنسانية، جعل من دراسة العلاقة بين العلوم التكنولوجية والإنسانية أمراً ملحا استدعى معه اعتبار علاقة الأخلاق بالممارسة التواصلية، لاسيما في أشكالها الرقمية الجديدة، أمراً ذا راهنية عالية، وأهمية قصوى، وهذا الأمر يستدعي البحث في الأساليب التواصلية المبنية على أسس أخلاقية وحضارية تعكس قيم احترام الآخر وتقبل اختلافه معنا<sup>41</sup>.

#### خاتمة:

وختاماً يمكننا القول إن الفلسفة لا تنفصل عن الحياة، فهي متصلة بها متفاعلة معها لا تنقطع عن التأثير فيها والتأثر بها، وأن الاهتمام بها هو من قبيل الاهتمام بالحياة وبالوجود والمصير الإنساني، ولقد أثبتت الفلسفة حضورها في مواجهة القلق والخطر، ويمكننا النظر إليها كسمة وملكة إنسانية عقلية ترافق الإنسان عبر مراحل تطوره، فهي تعاشه في سياق تنوعاته وتناقضاته الآتية والتاريخية للفلسفة نزوع متعدد الخواص بما يلائم صيرورة الإنسان، وما الفلاسفة إلا معبر ومنفذ إلى الواقع وحركته وتناقضاته وأزماته وألغازه. وكلما غرق العالم في أفاق التيه، تصبح الفلسفة أكثر من ضرورة، فمهما أحرز الإنسان من تقدم وتطور علمي وتكنولوجي؛ فإنه يظل كائناً ضعيفاً وضيق الأفق أمام الاتساع الرهيب واللامحدود للحقيقة؛ ولذلك فإنه سيبقى وباستمرار بحاجة إلى الفلسفة؛ لأنها تمنحه فرصة العيش المطمئن والهادئ في العصر الرقمي، فباستطاعة الفلسفة أن تجعل من البشر كائنات أكثر تسامحاً وأكثر تقبلاً للآخر.

إن التكنولوجيا الرقمية، وإن بدت على أنها بمثابة النصر الحقيقي لعصرنا هذا أو العصر الرقمي كما يسمى، وهو عصر الانفتاح والتواصل الإنساني الذي يخترق جميع الأوساط الاجتماعية وينظم الحياة اليومية، وبأن هذه التكنولوجيا تمثل قيمة من القيم المركزية للمجتمع الإنساني المعاصر، فإنها في الحقيقة سلاح ذو حدين، فهي تحمل إلينا ما يعبر عن النبل والعفة، كما أنها تحمل إلينا أيضاً ما يعبر عن الحقارة والدناءة والابتدال، ولذلك فإن علينا كمسلمين أن نكون حذرين في استخدامها، والتعامل معها، وعلينا مواجهتها بحس فلسفي نقدي، وهنا تظهر أهمية الفلسفة في مجالات التثقيف، وترشيد القيم الإيجابية لمواجهة التحديات التي تتطلب إنساناً على قدر كبير من الوعي والاستعداد لمواجهة رياح التغيير العلمي والتكنولوجي العولمي التي تقتلع ومن دون شك كل من لا يستعد لمواجهتها من جذوره.

#### قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1992.
- 2- أدريين كوخ، آراء فلسفية في أزمة العصر، ترجمة محمود محمود، هندواي، المملكة المتحدة، 2022.
- 3- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.
- 4- إدغار موران، الفكر والمستقبل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2004.
- 5- أسماء حسين محمد ملكاوي، أخلاقيات التواصل في العصر الرقمي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون أول /ديسمبر 2013.
- 6- أم الزين بن شيخة، ثقافة العصر-الرقمي-وفلسفة-التقنيات، <https://www.alethead.ae/news> تاريخ النشر: 2023/02/9، 14:2 تاريخ الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 7- إمام عبد الفتاح امام، مدخل إلى الميتافيزيقا، الإدارة الجامعية للنشر، الجيزة، ط1، 2002.
- 8- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 165 سبتمبر 1992.
- 9- برتراند رسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد 72 ديسمبر 1983، ج2.
- 10- جاني فاتيمو، نهاية الحدائث، ترجمة نجم بو فاضل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2014.
- 11- جوازيار رويس، روح الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009.

- 12- حسن سليمان حسن قبلي، السنن التاريخية في القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه في فلسفة التاريخ جامعة الخرطوم، 2008.
- 13- حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ج2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط3، 1980.
- 14- ديديه جوليا، قاموس الفلسفة، ترجمة فرنسوا أيوب وآخرون، مكتبة أنطوان، بيروت، ط1، 1992.
- 15- رونيه ديكرات، مبادئ الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة، ط6، القاهرة، 1975.
- 16- 27- الشابي نور الدين، (الثورة الرقمية من منظور فلسفي)، مجلة الرستمية، العدد2، 2020.
- 17- عبد الغفار مكاوي، دعوة للفلسفة، مؤسسة هندواوي، المملكة المتحدة، 2019.
- 18- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط:ي، مكتبة مدبولي، مصر، د. ط، د.ت. ج2.
- 19- عمار طالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبية للنشر، الجزائر، د. ط، 2006.
- 20- عوض حسين التودري، المدرسة الإلكترونية وأدوار حديثة للمعلم، دار الرشد، الرياض، 2004.
- 21- فهد بن عبد الرحمان الشميمري: التربية الإعلامية، كيف نتعامل مع الإعلام؟ الرياض، 2010.
- 22- محمد عبد الله الشرفاوي، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، مكتبة الزهراء، بيروت، القاهرة، ط1، 1990.
- 23- محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983.
- 24- مصطفى النشار، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998.
- 25- نديم نجدي، قيامة الفلسفة مآل الكلمة في العصر الرقمي، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2018.
- 26- ندى علي حسن بن شمس، المواطنة في العصر الرقمي، نموذج مملكة البحرين سلسلة دراسات، معهد البحرين للتنمية السياسية، 2017.
- 27- وائل أحمد عبد الله، نحو فلسفة للعلوم التي صاحبت العصر الرقمي-  
<https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/5839a638-09e2-4ec9-8ff8-d38eb372b474?t>، تاريخ النشر: 2020/09/25 الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 28- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

### التهميش:

- 1- عمار طالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبية للنشر، الجزائر، د. ط، 2006، ص 13.
- 2- محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983، ص29.
- 3- فيثاغورس: فيلسوف ورياضي يوناني ولد بساموس، ويقال بأنه خرج منها فارا من طغيان حاكمها بوليكراتس، ولجأ إلى قروطونا بإيطاليا، وأسس بها فرقة دينية سياسية فلسفية سيطرت على المدينة، ومدت نفوذها إلى المدن المجاورة، قتل المعارضون عددا من أعضائها البارزين، ونجا فيثاغورس بنفسه واستطاع من بعد أن يستعيد لفرقة نفوذها، ولكن الثورة علميا اشتعلت من جديد، وتفرق أعضاؤها إلى كل مدن اليونان الكبرى، ومن ثم تضاعف نفوذها وخبث تعاليمها في أواخر القرن الرابع. - عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط:ي، مكتبة مدبولي، مصر، د. ط، د.ت. ج2، ص1053.
- 4- المرجع نفسه، ص 1052.
- 5- محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص29.

- 6- مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998، ص26.
- 7- فولتير: مفكر وأديب فرنسي ولد في باريس لأسرة بورجوازية، وتعلم في الكلية اليسوعية، وترك دراسة القانون واتجه إلى الأدب وكان مزاجه فلسفياً فجاءت أغلب كتاباته الأدبية فلسفية المنحى والتناول، وأوقعته في صدام مع الملكية والإقطاع والكنيسة، واعتقل بسببها مرتين لمدة سنة قضاهما في سجن الباستيل، وأمضى من حياته خمسة عشر سنة منفياً من باريس وثلاثين سنة منفياً من فرنسا، ولما عاد إليها قبل وفاته بشهور خرجت باريس بكاملها تستقبل أعظم أدباء فرنسا، وأكبر أنصار الإنسانية في أوروبا كلها، واشتهر من مؤلفاته الفلسفية "رسائل فلسفية"، و"القاموس الفلسفي"، و"فلسفة التاريخ".- عبد المنعم الحفني: مرجع سابق، ص1042-1043.
- 8- إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني مؤسس الفلسفة النقدية، لم يبدأ بتطوير فلسفته الخاصة إلا في السابعة والخمسين من عمره في كتاب (نقد العقل المحض)، وتكمن أهمية المنهج النقدي عند كانط في اكتشافه أن غاية الفلسفة ليست في توسيع معرفتنا بالعالم بل في تعميق معرفتنا بالإنسان، وفي كتابه (نقد العقل العملي) بين كانط أن القانون الخلقي هو أعمق ما لدينا من إمكانية في كياننا وكتابته (أسس ميتافيزيقا الأخلاق) يمثل موجزا في العمل الأخلاقي، وفي كتابه (نقد ملكة الحكم) نجد العمل الفني ونظريته في الحياة العضوية، ونجد لدى كانط بالإضافة إلى هذه المؤلفات: (مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ممكن أن تصير علما)، و(المبادئ الماورائية الأولى لعالم الطبيعة)، و(الدين في حدود العقل الخالص) و(علم المنطق).- ديديه جوليا، قاموس الفلسفة، ترجمة فرنسوا أيوب وآخرون، مكتبة أنطوان، بيروت، ط1، 1992، ص424، 425.
- 9- حسن سليمان حسن قبلي، السنن التاريخية في القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه في فلسفة التاريخ جامعة الخرطوم، 2008، ص175.
- أدريين كوخ، آراء فلسفية في أزمة العصر، ترجمة محمود محمود، هندواي، المملكة المتحدة، 2022، ص8.
- 11- ندى علي حسن بن شمس، المواطنة في العصر الرقمي، نموذج مملكة البحرين سلسلة دراسات، معهد البحرين للتنمية السياسية، 2017، ص21.
- 12- عوض حسين التودري، المدرسة الإلكترونية وأدوار حديثة للمعلم، دار الرشد، الرياض، 2004، ص20، 21.
- 13- إمام عبد الفتاح امام، مدخل إلى الميتافيزيقا، الإدارة الجامعية للنشر، الجزيرة، ط1، 2002، ص17-19.
- حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط3، 1980، ج2، ص147.
- 15- برتراند رسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد 72 ديسمبر 1983، ج2، ص7.
- 16- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد165 سبتمبر 1992، ص75، 76.
- 17- جوازي رويس، روح الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009، ص60، 61.
- 18- المرجع نفسه، ص62، 63.
- 19- محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق، ص35.
- 20- المرجع نفسه، ص37، 39.
- 21- المرجع نفسه، ص39.
- 22- إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية رؤية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1992، ص10، 11.
- 23- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 24- بوشنسكي، مرجع سابق، ص16، 17.
- 25- عبد الغفار مكاي، دعوة للفلسفة، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة، 2019، ص20، 21.
- 26- رونيه ديكرت، مبادئ الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة، القاهرة، ط6، 1975، ص48، 49.
- 27- محمد عبد الله الشرفاوي، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجبل، مكتبة الزهراء، ط1، بيروت، القاهرة، 1990، ص123.
- 28- كلمة أنترنت (Internet) هي من ناحية الاشتقاق اللغوي، كلمة تختصر عبارة (International Network)، وبالتالي فهي تعني الشبكة العالمية، وتسمح هذه الشبكة بالقيام بكثير من المهمات بشكل يخضع إلى الآلية من قبيل التواصل (البريد الإلكتروني مثلا كتواصل بين مرسل ومستقبل) والنقاش والعمل والبحث والتعلم...إلخ.- الشابي نور الدين، (الثورة الرقمية من منظور فلسفي)، مجلة الرستمية، العدد2، 2020، ص46.

- 29- أم الزين بن شيخة، ثقافة العصر الرقمي-وفلسفة-التقنيات، <https://www.aletihad.ae/news>، تاريخ النشر: 2023/02/9، 2:14 تاريخ الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 30- فهد بن عبد الرحمان الشميمري: التربية الإعلامية، كيف نتعامل مع الإعلام؟ الرياض، 2010، ص 40، 41.
- 31- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 32- إدغار موران (Edgar Morin) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر. ولد في باريس في 8 يوليو 1921. في بداية القرن العشرين هاجرت أسرة موران من سالونيك في اليونان إلى مرسيليا ثم إلى باريس حيث ولد إدغار هناك، وهو من يهود سفارديون. وعندما غزا الألمان فرنسا في عام 1940، قام إدغار بمساعدة اللاجئين وانضم إلى المقاومة الفرنسية، واستخدم اسم موران كاسم مستعار بوصفه عضواً في المقاومة الفرنسية. ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1941. قام بتأسيس مجلة Arguments بالفترة (1954-1962). وقام بإصدار كتابه Autocritique في سنة 1959. كان الكتاب يوضح تمسكه ثم خروجه من الحزب الشيوعي. في سنة 1960 سافر إدغار إلى أمريكا اللاتينية وقام بزيارة البرازيل، تشيلي، بوليفيا، بيرو، المكسيك. ثم عاد إلى فرنسا ونشر كتابه 'L'Esprit du Temps', a work on popular culture. من مؤلفاته ثقافة أوروبا وبربريتها. إلى أين يسير العالم، هل نسير إلى الهاوية، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، عنف العالم، المنهج إنسانية البشرية، الهوية البشرية. - ( إدغار موران <https://ar.wikipedia.org/wiki/> ..)
- 33- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 61.
- 34- إدغار موران، الفكر والمستقبل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 111.
- 35- نديم نجدي، قيامة الفلسفة مآل الكلمة في العصر الرقمي، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2018، ص 23، 24، 25.
- 36- المرجع نفسه، ص 30.
- 37- جاني فاتيمو، نهاية الحداثة، ترجمة نجم بو فاضل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2014، ص 199.
- 38- وائل أجمد عبد الله، نحو فلسفة للعلوم التي صاحبت العصر الرقمي-5839a638-09e2 <https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/5839a638-09e2-4ec9-8ff8-d38eb372b474?t> تاريخ النشر: 2020/09/25 تاريخ الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 39- أم الزين بن شيخة، ثقافة العصر الرقمي-وفلسفة-التقنيات، <https://www.aletihad.ae/news>، تاريخ النشر: 2023/02/9، 2:14 تاريخ الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 40- وائل أجمد عبد الله، نحو فلسفة للعلوم التي صاحبت العصر الرقمي-5839a638-09e2 <https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/5839a638-09e2-4ec9-8ff8-d38eb372b474?t> تاريخ النشر: 2020/09/25 تاريخ الإطلاع: 2023/10/06، 15:00.
- 41- أسماء حسين محمد ملكاوي، أخلاقيات التواصل في العصر الرقمي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون أول/ديسمبر 2013، ص 7-9.